القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة في قصيدة "وقفة على قبور الشّهداء" لمحمّد العيد آل خليفة.

The illocutionary force of Speech acts in the poem "waqfat eala qubur alshuhada" by Mohammed Al-Eid Al - Khalifa.

الدكتور: العربي بومسحة *

تاريخ الإرسال: 2021/01/23	تاريخ القبول: 2022/01/10	تاريخ النشر: 2022/11/10

الملخص:

يركّز المقال على مفهوم نظرية الأفعال الكلاميّة بمستوياتها المختلفة: التّقريريّات، والتّوجيهيّات، والتّعبيريّات، والإلتزاميّات، والإيقاعيّات، من خلال تتبّعها وتحليل قوّتها الإنجازيّة في قصيدة "وقفة على قبور الشّهداء" للشّاعر محمّد العيد آل خليفة.

والهدف من الدّراسة التّعرف على مدى إسهام القوّة الإنجازيّة للفعل الكلامي في إنجاح العملية التّواصلية بين الشّاعر والشّعب الجزائري؛ أمّا أهميتها، فتظهر في دور القوّة الإنجازيّة للفعل الكلامي من أجل التّأثير والإقناع .

الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام، قوّة إنجازيّة، وقفة على قبور الشّهداء، محمّد العيد آل خليفة.

Abstract:

The article focuses on the concept of speech acts theory at its different levels: Assertives, Directives, Commissives, Expressives, and Declaratives, through tracking and analyzing its achievement power in the poem " waqfat eala qubur alshuhada " by Mohammed Al-Eid Al- Khalifa.

The aim of the study is to identify the extent of the contribution of the achievement power of the speech act to the success of the communication process between the poet and the Algerian people. As for its importance, it appears in the role of the achievement power of act in influence and persuasion.

Key words: Speech acts, Illocutionary force, Waqfat ealaa qubur alshuhada, Mohammed Al-Eid Al –Khalifa.

* جامعة أحمد بن يحي الونشريسي- تيسمسيلت. larbiaflah0@gmail.com

*** *** ***

المؤلف المرسل: العربي بومسحة. larbiaflah0@gmail.com

1.مقدّمة:

تعدّ نظرية الأفعال الكلاميّة Speech Acts من أهمّ المرتكزات الّتي تقوم عليها اللّسانيات التّداوليّة بوصفها تركّز على ما يصنعه مستعمل اللّغة أثناء التّأثير والإنجاز والتّواصل؛ حيث مسّت تنظيراتها ومرتكزاتها الفلسفيّة حقل فلسفة اللّغة في مباحث المعنى الّذي أضحي الجزء الرّئيس في مجالات الدّراسات التّداوليّة الّتي تشترط بأن تنماز الأفعال الكلاميّة بالمقبولية والنّجاح والملائمة للّغة العادية في أطر عادية ومتغيّرة بحسب الطّبقات المقامية وأحوال التّواصل بين النّاس من أجل إنتاج خطابات ناجحة في مواقف تواصلية كلامية معيّنة.

هذه المعطيات، أهّلت نظريّة الأفعال الكلاميّة بأن تكون محطّة شرطية متلازمة للّسانيات التّداوليّة إلى درجة أنّنا لا يمكننا ذكر الأولى دون الأخرى؛ لأنّ اللّسانيات التّداوليّة جعلت من الحدث اللّغوي حدثا إنجازيا مؤسّسا على علاقات النّشاط اللّغوي بمستعمليه ضمن استراتيجية مرتبطة بشبكة تضم أطراف الخطاب، ومقاصد الخطاب ونواياه وفحواه، وظروفه المقامية.

في ضوء ما تقدّم، نحاول أن نقارب في محطّات سيّاقيّة مختلفة، نعتقد أنّها استطاعت أن تحقّق ملامح ومكوّنات القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة في قصيدة "وقفة على قبور الشّهداء" للشّاعر محمّد العيد آل خليفة.

إشكالية تنطلق من محاولة قراءة لنصّ شعريّ قصد الكشف عن بعض ملامح القوّة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة الواردة فيه، وهي إشكالية مركّبة، تكاد تنفتح على مجموعة أسئلة نراها جوهرية، يمكن حصرها في الآتي:

كيف نشأت نظرية الأفعال الكلاميّة ؟ وما القصدية من نظرية الأفعال الكلاميّة؟ وإلى أي مدى يمكننا مقاربة بعض مقولات نظرية الأفعال الكلاميّة الواردة في تصورات كلّ

من: " أوستين "، و" سيرل " على قصيدة " وقفة على قبور الشّهداء " لأمير شعراء الجزائر الشّيخ محمّد العيد آل خليفة؟

تهدف هذه الدّراسة إلى التّعرف على مقولات نظرية الأفعال الكلاميّة ومستوياتها المختلفة عند أوستين وسيرل، ومدى تطبيقاتها في نصّ شعريّ لمحمّد العيد آل خليفة من أجل بيان القوّة الإنجازيّة للفعل الكلامي في إنجاح العملية التّبليغيّة.

وقامت منهجية الدّراسة على محطّات مركزيّة هي:

- نشأة نظرية الأفعال الكلاميّة.

- مقولات نظرية الأفعال الكلاميّة.

- تطبيقات على قصيدة وقفة على قبور الشّهداء.

لذا، كان لزاما علينا أن نتّبع المنهج الوصفي التّحليلي الملائم لقراءة ووصف هذه المقولات من حيث المفاهيم والخصائص وتتبّعها في هذا النّص الشّعريّ المختار .

2. نشأة نظرية الأفعال الكلاميّة:

تشير مصادر الدّرس التّداولي- في غالبيتها- إلى أنّ الإرهاصات الأولى لنظريّة الأفعال الكلاميّة، كانت مع فلاسفة اللّغة من أمثال: "فريجه Frege "، و"رسل Russel"، و"فيتغنشتاين Wittgenstein " في دراساته الأولى التي يمثِّلها كتابه: " رسالة منطقية فلسفية Tractatus Logico- Philosophicus".

ففي هذا الاتّجاه، ساهموا هؤلاء الفلاسفة بحظّ أوافر في دراسة اللّغة بغية الوصول إلى قصد ينطلق من فهم أفضل لكيفية عمل الذّهن في تصوراته للعالم؛ حيث دفعهم إلى تحديد المركّبات الخبرية بوصفها تعبيرات لغوية وحيدة عن تصور الذّهن للعالم معتمدة في ذلك على الصّيغة الصّورية للقضايا في إطار المنطق الرّمزي الحديث من أجل اقتراح تصورات لنموذج صارم وواضح للّغة الاصطناعيّة من خلاله تفسّر التّركيبات اللّغوية المتداولة في اللّغات الطّبيعية[1].

هذا الاقتراح، أظهر اختلافات عند بعض رواده حول منطق اللّغة مردّها إلى الخلفيات الفكريّة والمعرفيّة لهم، محدثا بذلك « قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامّين، هما الإحالة والاقتضاء، ولا شكّ في أنّ ذلك من نتائج اعتماد "التّحليل" منهجا فلسفا جديدا »[2].

تمثّل هذا الاتّجاه في ظهور مدرسة جديدة لفلاسفة اللّغة الّذين تمركزوا على دراسة اللّغة العادية (الطّبيعية) منطلقين من مبدأ التّقارب الفلسفي اللّساني، مؤكّدين على أنّ اللّغة الطّبيعية هي الجديرة بنقل الأفكار والوصول إلى المقاصد من أجل تحقيق الفهم ووصف الوقائع.

ومبرّرات ذلك تعزى إلى فلاسفة الوضعية المنطقية الّذين «يرون اللّغة وسيلة لوصف الوقائع الموجودة في العالم الخارجي بعبارات إخبارية ثم يكون الحكم بعد ذلك على هذه العبارات بالصّدق إن طابقت الواقع وبالكذب إن لم تطابقه، فإذا لم تطابق العبارة واقعا فليس من الممكن الحكم عليها بصدق أو كذب»[3].

هذه الفرضيات، تتأسّس وفق ضوابط وقواعد تتوافر على الملفوظات اللّسانية الّتي تتواضع عليها المجموعة اللّسانية المعنيّة بمستعملي اللّغة الملائمة والمنسجمة مع الوقائع الموجودة في العالم الخارجي؛ إذ ذاك، تكون وظيفة اللّغة عندهم هي الوصف بالجملة الخبرية الّتي تعدّ أنموذجا للقيّاس، وما عداها من الجمل هي مجرّد أشكال متفرّعة عنها.

ومثلما أسلفنا القول سابقا، لقد نشأ عن هذا التّوجه الجديد التّحليلي الّذي يوسم بفلسفة اللّغة العادية Ordinary Language Philosophy بزعامة فيتغنشتاين في المرحلة الثّانية من فلسفته، والّذي يعدّ المصدر الّذي نتج عنه المنحى التّداولي، ومعه تبلورت النّظرة التّداوليّة إلى اللّغة، استنادا إلى ضرورة إعادة التّفكير في مسألة المعنى بما يتناسب مع أغراض الكلام وحياة الدّلالة، ولذلك فإنّ دراسة اللّغة من زاويتها التّداوليّة تندرج ضمن إطار عامّ مجسّد في معرفة التّغيّرات الّتي يحدثها تلفّظ الجملة انطلاقا من قصد توصيل المعاني و تبليغ المقاصد وتحقيق أغراض ما تمّت صياغة الجملة من أجله[4].

ومن أبرز رواد هذا التّوجه الجديد " فيتغنشتاين Wittgenstein" وبالتّحديد من أعماله المرتبطة بالمرحلة الثّانية من تطوره الفلسفي الّتي يعبّر عنها كتابه" بحوث فلسفية

Philosophical Investigations" و"رايل Ryle" في كتابه" مفهوم العقل Concept of" Mind، و"أوستين Austin" في محاضراته الّتي نشرت في كتاب" How to do things with word "[5].

وبذلك تترسّم خطى نشأة نظرية الأفعال الكلاميّة في ظل فلاسفة التّحليل بحكم أنّهم تبنّوا قضية طبيعة اللّغة؛ حيث ركّزوا على اللّغة العادية المستعملة في المعاني العادية الّتي تتغيّر بحسب مقامات الأحوال وظروف السّياقات.

بهذا التّقدير، يؤرّخ للفيلسوف الإنجليزي" أوستين Austin John Lang Shaw"، صاحب القدم الرّاسخة في دراسة اللّغة العادية الممثّلة في الكلام من زاوية فلسفية تحليلية غير معقّدة[6]، بأنّه المؤسّس الحقيقي والفعلي لهذه النّظرية، الّتي اكتمل إطارها النّظري على يد تلميذه "سيرل Searle John" الّذي له دور لا ينكر في تطوير نظرية الأفعال الكلاميّة المتمثّل في نقل اللّغة من الوصف إلى الاستعمال بنية إعطائها البعد التّواصلي التّبليغي للتّعبير عن المقاصد والمواضعات.

من هذه الجهة، يظهر لنا أثر نظرية الاستعمال أو الألعاب، أوّل ما ظهر في مدرسة كمبردج ومدرسة أكسفورد وخاصّة في أعمال "أوستين Austin"، وسّع من دائرة اللّغة أو نموذج اللّغة بواسطة اللّغة، ولاحقا في أعمال تلميذه فيلسوف اللّغة "جون سيرل Searle" صاحب نظرية أفعال الكلام (Speech Act)، أو أفعال اللّسان، وبأعمالهما توجّهت الفلسفة إلى ميدان البحث في مشكلات اللّغة[7].

ووفق هذا الضّابط، تعدّ اللّغة عند أوستن أداة مركزيّة ووظيفية في مأسسة العالم والتّأثير فيه، وليست مجرّد وسيلة للوصف ونقل المعلومات والتّعبير عن الأفكار، ومن هنا ينطلق تصوره حول كيفية إنجاز الأفعال بواسطة الأقوال.

ففي مرحلة التّأسيس، حاول "أوستين" في بدايته الأولى إلى التّميّز بين نوعين من الأفعال: أفعال إخبارية، وأخرى إنجازية. وهما[8] :

- أفعال إخبارية constative وهي الّتي يمكن لنا أن نحكم عليها بمعيار الصّدق أو الكذب، وهي عبارة عن جمل إثباتية أو تقريرية، تتعلّق بوصف وقائع العالم الخارجي.

- أفعال إنجازية أو أدائية(إنشائية) performative لا توصف بالصّدق ولا تنعت بالكذب، بل تكون موفّقة أو غير موفّقة، وتظهر لنا في : التّسمية، والوصية، والاعتذار، والنّصح، والوعد، وهذه الأفعال تتوفّق بشروط تكوينية و قيّاسية.

وفي مرحلته الثّانية، عمد إلى مراجعة وتعديل هذه التّقسيمات والشّروط الموضوعة للتّميّز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الإنجازيّة؛ حيث طرح بديلا آخرا لتميّز الخبر من الإنشاء، انطلاقا من أنّ الفعل الكلامي يتألّف من ثلاثة أفعال ينجزها المتكلّم في وقت واحد أثناء التّلفّظ، منتجا بذلك ثلاثة أفعال كلامية مدمجة ومرتبطة فيما بينها، نوجز بيانها في الآتي[9]:

- الفعل اللّفظي أو فعل القول (النّطقي) Locutionary act: وهو العمل الّذي يتحقّق ما إن نتلفّظ بشيء ما، ويتأسّس وفق نظام صوتي منطوق وتركيب نحوي يحقّق معنى يحيل إلى مرجع معلوم.

- الفعل الإنجازي Illocutionary Act : الّذي يقوم به المتكلّم أثناء تلفّظه، لينجز به معنى قصديا، يمثّله المعنى الإضافي الكامن وراء المعنى الأصلي (المتضمّن في القول). ويرد سؤالا، أو أمرا، أو وعدا، أو تحذيرا، أو تأكيدا، ...

- الفعل التّأثيري Perlocutionary act : النّاتج عن القول أي الأثر الّذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي من إقناع، أو إرشاد، أو وعتاب،...

أمّا مرحلة النضج وإعادة التّأسيس لنظرية الأفعال الكلاميّة، فقد مثّلها تلميذه "سيرل Searle John"؛ حيث وسّع من فضاء الفعل الكلامي ليجعله أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم ومقصده، بل يرتبط أيضا بالعرف اللّغوي والاجتماعي منطلقا من اللّغة بوصفها جزء من الوقائع المؤسّساتية[10].

وما أضافه سيرل هو معنى المتكلِّم، ويمكن للسّامع أن يصل إلى هذا المعنى المراد من خلال مبدأ التّعاون الحواري، فأبرز أثر القوّة الإنجازيّة المتمثّلة في نظام بناء الجملة وما

يتّصل بها من نبر وتنغيم وصيغ فعلية، وطوّر شروط الملائمة الّتي وضعها أوستين جاعلا منها أربعة[11]:

- شروط المحتوى القضوي Contenue Propositionnelle : و هو المعنى الحرفي الأصلي للجملة في فعل الوعد إذا كان دالّا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلِّم نفسه.

- الشّرط التّمهيدي Préparatoire: يتحقّق بقدرة المنجز على أداء الفعل وقت الفعل، لكن لا يكون واضّحا عند المتكلِّم والمخاطَب.

- شرط الإخلاص Sincertive: أن يكون المتكلِّم مخلصا في إنجاز الفعل فلا يقول غير ما يعتقد.

- الشّرط الأساسي Essentielle: يتحقّق حين يحاول المتكلِّم التّأثير في السّامع لينجز الفعل.

وجملة الأمر، فإنّ نظرية الأفعال الكلاميّة تعدّ أهم ما في الدّرس التّداولي كنظرية لها خلفياتها الفلسفيّة وأسسها المنهجية؛ فهي بؤرة مركزية في الكثير من الأعمال التّداوليّة، لما تركّز على أنّ كلّ ملفوظ يتأسّس على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري منطلقا من أفعال قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes Illocutoires كالطّلب والأمر والوعد والوعيد...، ومستهدفا غايات تأثيرية Perlocutoires Actes تخصّ ردود فعل المتلقي كالرّفض والقبول، ومن ثّم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، تتجلّى تأثيراته النّفسية والاجتماعية في المخاطب قصد إنجاز أشياء ما[12].

أمّا بخصوص تأثيل المفهوم والمقابل التّرجمي، فقد اختلف اللّغويّون في فرنسا على ترجمة المصطلح الإنجليزي (Speech act)، ممّا أدّى إلى ظهور مقابلات ترجمية من قبيل: (Acte de langage)، و (Acte de parole)، و(Acte de discours)، ونجم عن ذلك تعدّد وتباين في ترجمة هذه المصطلحات إلى العربية؛ حيث ترجمت على التّرتيب إلى: أفعال لغويّة، أفعال كلاميّة، أفعال خطابيّة، أعمال لغويّة، أعمال كلاميّة، أعمال خطابيّة، ويذهب بعض الدّارسين العرب إلى إمكان استعمال الأعمال القوليّة والأعمال الكلاميّة[13] .

3.مقولات نظرية الأفعال الكلاميّة في قصيدة "وقفة على قبور الشّهداء":

تدور سيّاقات هذه القصيدة الثّورية في مدارات تمجيد الأبطال والزّعماء وقوافل من الشّهداء الّذين ضحوا بالنّفس والنّفيس من أجل تحرّر واستقلال الجزائر، فكانت جبال الأوراس مركزا لانطلاق أوّل شرارة للثّورة الجزائريّة المباركة.

ففي عيد الأضحى المبارك من سنة 1965 وقف الشّاعر على قبورهم في مقبرة الشّهداء بالأوراس الأشم؛ حيث جاشت عواطفه بالتّرحم عليهم والتّعظيم لشأنهم الجلل والدّعاء لهم بأن يطيّب الله ثراهم، ويجزيهم عن تضحياتهم بأرواحهم أطيب الجزاء بقصيدة يبلغ عدد أبياتها 41، نشرت بمجلة المعرفة لوزارة الأوقاف في عددها 18 الصّادر في ذي الحجّة 1384هـ أفريل 1965م، يقول في مطلعها[14]:

رَحِمَ الله معشَرَ الشّهداء وجزَاهم عنّا كريمَ الجزاء

ما يلاحظ في هذا الخطاب الشّعري، تعدّد للأفعال الكلاميّة الدّالة على تنوّع مقاصد الشّاعر الخطابية المشكّلة للسّياق التّداولي المقترن بالأقوال المتضمّنة لغايات تأثيرية، فاشتملت على أصناف من قبيل: التّقريريّة والتّعبيريّة والتّوجيهيّة والإيقاعيّة...، كما وردت بأشكال مباشرة وغير مباشرة، والقصدية منها تمكين رسالة الخطاب الشّعري من الذّات المتلقيّة بهدف استمالتها للتّأثير فيها عن طريق العاطفة وإيقاظ الشّعور بغية حملها على التّصديق والاقتناع بفحوى هذا الخطاب الثّائر.

ما يبرّر هذا ما ذهب إليه " أوستن " وفلاسفة بأنّ اللّغة ليست مجرد أداة أو وسيلة للتخاطب والتّفاهم والتّواصل أو وصف للعالم فحسب، بل هي فعل يؤثّر في الواقع ويعدّل في السّلوك البشري ويثير ردود أفعال من خلال مواقف عامّة[15].

1.3.الإخباريّات (Assertives) :

أفعال دّالة على الإثبات أو التّقريريّات والتّأكيديّات أو التّمثيليّات أو الحكميّات، والقصدية الإنجازيّة منها نقل المتكلّم لواقعة من الوقائع انطلاقا من قضية (proposition) للتّعبير عنها، وهي الّتي تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة حسب مطابقة هذا العالم[16].

يظهر هذا الصنف على مستوى القصيدة كاملة، تجسّد في نقل صوّر وحقائق صادقة عن الشّاعر ومجتمعه معا بالوصف والتّقرير والتّأكيد، تتجلّى فيها روح المصلح الثّائر في تصوير ماتع للشّهداء وتضحياتهم منطلقا من قضية التّرحم على أرواح الشّهداء وكيفية تكريم هؤلاء الأبطال جاعلهم رمزا للوطن؛ حيث شكّل منها بؤرة مركزية للتّعبير عن مقاصد الذّات الشّاعرة، ومن خلالها الضمير الجمعي الجزائري الّذي عايش هذه التّجربة المريرة، وما استخدام هذه الأفعال التّقريريّة – في غالبيتها مباشرة – داخل القصيدة إلاّ لتأكيد الكلام وتقويته، وهو بذاك يوفّق في تحقيق قوّة إنجازيّة في نجاحه لنقل للواقعة.

1.1.3.الإخبار:

كما ورد في قوله[17]:

رَحِمَ الله معشَرَ الشّهداءِ وجزَاهم عنّا كريمَ الجـزاءِ

وسقى بالنّعيم منهم تُرابا مُستطابا معطّـر الأرجــاءِ

تجلّى في إعطاء وتقديم معلومات وحقائق واقعة بنية إفادة الذّات المخاطَبة بأمور تجهلها أو تعلمها؛ فالأخبار في هذين البيتين، تركّز على دعوة الشّاعر لهؤلاء الشّهداء بالرّحمة وبكريم الجزاء وأن يسقيهم الله بالنّعيم المستطاب المعطّر، والقوّة الإنجازيّة لها يمكن حصرها في نمطين : نمط متوقّف أمرها على ما قبل الإخبار، لأنّنا حينما نخبر المخاطَب بواقعة معلومة لديه، اتّصف هذا الخبر بلزوم الفائدة. ونمط آخر، هو إعلام المخاطَب بخبر يجهله ومعه تحصل له فائدة الخبر. وفي الأخير، تبقى الذّات المتلقيّة هي الّتي تحدّد انتسابها وتلقها للنّمطين.

2.1.3.التّكرار:

يظهر في تكرار المتتالية الفعلية لفعل الدّعاء (**رحم، جزاهم، سقى**) تدل دلالة قاطعة على أنّ الشّاعر شديد التّعلق بالشّهداء الأبرار، والغرض من التّكرار يعدّد الانسجام اللّغوي لأقسام الكلام في السّياق الواحد، لأنّ «الوظيفة التّداوليّة المعبّر عنها

الاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين إلى أنّ لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها، ينضاف إلى هذا أنّ انفتاح الخطاب يمنح إمكانية التّفصيل»[18].

وبهذا التّكرار، يحيلنا الفعل الكلامي إلى قوّة إنجازيّة مناسبة لإسماع المتلقين وخاصّة في هذا الموقف الكلامي العظيم لشهداء التّمدين الّذين افتدوا مستقبل الشّعب بأرواحهم، وارتقوا إلى سماوات الفردوس.

2.3.التّوجيهيات (Directives) :

تستخدم في الكلام من أجل جعل المتلقي القيام بها، وغرضها الإنجازي هو محاولة المتكلّم التّأثير في المتلقي قصد القيام بفعل ما أو أداء عمل من الأعمال وشرط الإخلاص يتمثّل في الإرادة أو الرّغبة لدى المتلقي في إنجاح فعل التّوجيهات، لأنّ المحتوى القضوي متوقّف على فعل المتلقي في زمن الحال والاستقبال، ويدخل في هذا الصّنف: الاستفهام، والأمر، والرّجاء...[19]

1.2.3. الاستفهام :

كما ورد في قوله[20] :

هذه في الثّرى قبورٌ حوتهم أم قصورٌ تسمو على الجوزاءِ؟

إنّهم أوفوا العهود فهل أنـ ـتم لميثاقهم من الأوفيـاءِ؟

أين منّا ما سامَنا من عذابٍ أين منّا ما ساءَنا من شقاءِ؟

ما نلاحظه من فعل كلامي في هذه الملفوظات الاستفهامية هو أنّه وسيلة من الوسائل اللّغوية لمعرفة ما يجول بخاطر المخاطَب وفهم كلّ ما تعلّق بحيثيات السّياق من ظروف ومقامات، وما منها من قبيل التّعظيم لقبور الشّهداء الّتي تسنو حتى على الجوزاء كما ورد في البيت الأوّل.

وفي البيت الثّاني، يخرج تداوليا إلى الأمر والطّلب من المتلقي بالوفاء للعهود، وفي البيت الأخير، يخرج ضمنيا إلى استراتيجية حجاجيّة القصدية منها إقناع المتلقي باستنكار

العدو، وذلك بالتّأثير عليه بهذه الاستراتيجية المتمثّلة في تذكيره بجرائم فرنسا المقترفة في حقّ الشّعب الجزائري.

هذه الوسائل تُظهر القوّة الإنجازيّة لوظيفة الاستفهام الّتي لا يتوقّف أمرها عند حدود إجراء الفهم فقط، بل تتعدّاه إلى بناء قاعدة حوارية تواصلية بين المستفهِم والمستفهَم عبر أسئلة وأجوبة حسب ما يقتضيه السّياق.

2.2.3. الأمر :

الوارد في قوله [21] :

فأقيمـوا لهـم تماثيـلَ عِـزٍّ فـي قلـوبٍ ثـوريّـةِ الأهـواء
اقْتَدُوا وائْتَسُـوا بهم في المزايـا إنّهـم أهـل قـدوة وائْتِسَـاء
واخلفُوهم بالصّدق في خدمة الشّعـ ـبِ وفي أهلهم وفي الأنبَاء
حيّ عيد الأضحى وحيّ الضّحايا كلَّهـا والذَّبيحَ فـي الأنبيـاء
فتَقَلّدْ أمانةَ أمانةَ الحُكم بالحِكمـ ـة و اعْهَـدْ بها إلى الأُمنـاء
فاحتفظْ بالّذي ائتُمِنْت عليهِ و تعهَّـدْه منـكَ بـالإنمـاء

في هذه القطعة، خرجت جميع أفعال الأمر إلى تأدية مقاصد يقتضيها مقتضى الحال، تضمّنت قوتها الإنجازيّة في ورودها بصيغة الأمر الّتي جعلتها في اتّصال مباشر مع المتلقي(الشّعب الجزائري) الّذي يتأثّر دون تردّد في قبولها ضمن إطارها العام المتمثّل في النّصح والإرشاد بنبرة خطابية ذات أسلوب مباشر قريب المنال من المتلقي، وبواسطته ألزم الشّاعر كلّ الجزائريين بأن يكونوا أوفياء لعهود الشّهداء، بررة بهم في أهلهم وأبنائهم وشعبهم في أداء الأمانة بكلّ صدق وإخلاص.

وكما لا نعدم توظيف صيغة اسم فعل الأمر (حـــيّ) الّذي ساهم بحظّ وافر في تداولية الخطاب الدّال على التّهنئة والتّقدير بمناسبة عيد الأضحى المبارك لهؤلاء الشّهداء، لأنّ بفضل تضحياتهم ننعم بالحريّة والاستقلال، وقضية استحضار الشّاعر

لقصّة سيّدنا إبراهيم الخليل - عليه السّلام - وقت استجابته لأمر الله -عز وجل- الّذي فداه الله بذبح عظيم للدّلالة على كرم الجزاء، لأنّ القصدية منها بيان جزاء التّضحية كقيمة حجاجية لهذا الفعل الكلامي.

وقد تتصاعد هذه القيمة الحجاجية بتوظيف الشّاعر لصيغة فعل الأمر المتضمّنة للقوّة الإنجازيّة بمجرّد التّلفظ بها. نحو: (**تَقَلّدْ، اعْهَدْ، احتفظْ، تعهَّدْه**) الغرض منها النّصح، والرّجاء، والطّلب...، ومادام المتلفّظ حريصا كلّ الحرص على إرسال رسالة توجيهيّة إلى المخاطَب بنية المحافظة على إرث الشّهداء ومواصلة البناء والتّشييد، يمكن إدراجها ضمن نمط الإنجازيّات بلغة أوستين[22].

3.2.3.النّداء :

الوارد في قوله[23] :

أيّها الزّائــرون ساحــةَ طُهْــرٍ قُــدُسـيٍّ وعــزَّة قَعْســـاء

أيّها الشّعب أنت مُلهم شِعري في كفاحي ومُلْهب الأَحشاء

أيّها الشّعــب قــد ظفِـــرت يتقاضَى تجــاربَ الحكمـاء

إنّ الفعل الكلامي في الخطاب النّدائي تكمن أهميته في استعمالاته المختلفة، ومقدرته على التّعبير عن مختلف الأغراض، وفوائده في العملية التّبليغية التّواصلية، وقوّته الإنجازيّة تحصل في قبول الرّسالة والانتباه إليها لما لأسلوب النّداء من إفادة للتنبيه والتّوكيد، وكثرة تداوله تعكس إحالة مباشرة إلى تنبيه المتلقي وجعله مطمئنّا إلى كلّ ما يلقى عليه من الملفوظات النّدائية.

وتأسيسا على ذلك، فإنّ المقام التّواصلي المتمثّل في الوقفة على قبور الشّهداء، أجبرت الشّاعر على بناء قاعدة تأسيسيّة بينه وبين الشّعب الجزائري منطلقة من حالة شعورية حزينة مستنكرة غاضبة من جرائم فرنسا؛ حيث استأنس بنداء هذا الشّعب الأبي بنية شكره كي يبرز قيمة المنادى؛ فمنه استمدّ إبداعه الشّعري، وبقوّته أذلّ الطّغاة، حتّى أصبحت الجزائر جنّة آمنة يزور ساحتها كلّ من يتوق إلى الحرّية.

فالشّاعر وظّف النّداء كفعل لغوي في التّواصل والتّبليغ، لأنّ درجة القوّة الإنجازيّة للفعل النّدائي تُختزل في قدرته التّنبيهية العالية الصّائتة الّتي تتناسب مع ما يليها من مضمون النّداء.

3.3.الإلتزاميّات (Commissives) :

تعرف بأفعال التّعهد أو الوعديّات، وهي الأفعال الّتي يلتزم بها المتكلّم بفعل شيء ما للمخاطب في زمن الحال أو الاستقبال، والمطابقة فيها بين ما يقال من كلمات والواقع، ومن شروطها الإخلاص و القصد، ترد في صوّرها كإعطاء الوعد والقسم، والضّمان، والتّعهد[24].

كالواردة في قوله [25]:

إنّ ذكرى الشّهيد أرفعُ من أن ترفعوُهـا بالصّخـرة الصَّمَّـاء
نتلَقَّـى بهـا الخطـاب ونَلْتـذ ذُّ بما طـاب من كريم النِّـداء
كلُّ من لم يَثُر على الهُون والذِّلَّ ـة، داستْـه أرْجـلُ الأقويـــاء
هكذا يُكْشفُ البلاءُ فصبـــرا ليس عقْبَى البَلاء غيُر الرّخـاء

بمناسبة ذكرى الشّهيد في عيد الأضحى يأخذ الشّاعر ضمنيا وعودا للطّريقة المثلى لتكريم الشّهداء، وذلك بتمثّل بطولاتهم وتضحياتهم في نفس كلّ جزائري مع رسم صوّرهم في كلّ قلب حرّ ثائر، وليس في هذه النّصب التّذكارية أو تلك التّماثيل الحجريّة الّتي ترفع في كلّ مناسبة وحين؛ لأنّ هذا يؤدّي إلى عدم الوفاء بالوعود لهؤلاء الشّهداء النّاتج عنه نقص وفتور لهذا الفعل الكلامي الصّادر من الذّات الشّاعرة.

ما يلمس في هذا المقطع، توظيف لأفعال في غالبيتها تحمل دلالات الحال والاستقبال، تعكس قدرات وعدية قابلة للتّحقّق والإنجاز لدى المتلقي بحكم معرفة الشّاعر لشعبه بعد أن لقي من عدوه كلّ ألوان العذاب والهوان، ولكن بفضل الله وثورته المباركة و بعزيمة هؤلاء الأبطال حقّقت الجلاء، وجعلت من أرض الجزائر جنّة آمنة، يستمتع أهلها بالهدوء والأمن والسّلام؛ لأنّ عاقبة البلاء علّمت الشّعب الجزائري

القدرة على تحمل ويلات الحرب، فقوّت شخصيته وشحذت همته، وجعلته قادرا على مجابهة العدو بكلّ ما يملك.

كلّ هذه الشّروط الّتي توافرت، ألزمت الفعل الكلامي بأن ينماز بالوعديّات القابلة للتّحقّق مستقبلا انطلاقا من عاقبة هذا الصّبر والامتثال للابتلاء المكلّل بالحريّة، والّتي تلتزم به الذّات المتلقية لهذا الخطاب الطّامحة إلى غد أفضل للوصول إلى وطن آمن مزدهر؛ لأنّ القصدية من الفعل الإنجازي هو التزام الذّات المنتجة للخطاب بأداء عمل ما أمام المتلقي، كي يقترن هذا الفعل الإنجازي بمقاصد المتكلّم قصد ترجمته إلى أفعال وأعمال.

4.3.التّعبيريّات (Expressives):

تعرف بالبوحيّات أو التّصريحيّات أو السّلوكيّات، وهي الّتي تعبر عن حالات نفسيّة يشعر بها المتكلّم، وغرضها الإنجازي هو التّعبير عن الموقف النّفسي بعيدا عن توافر شرط الإخلاص، والمتكلّم فيها لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم. ترد في صوّر كالفرح، أو الحزن، أو الألم، أو النّجاح، أو الفشل، أو الاعتذار، أو التّهاني...[26]

مثل قوله[27]:

قد وطِئْتُم ما طاب منها فَطِبتم وسعِدتـم بـزَورة السُّعـداء

لم أجد في الرّجال أعلى وساما من شهيد مخضّب بالدّماء

على العموم، إنّ قصيدة "وقفة على قبر الشّهداء" برمّتها صورة صادقة للشّاعر ومجتمعه، تنطلق من حالة نفسيّة حزينة ألهبت الذّات الشّاعرة والمتلقي في آن معا موضوعها التّرحم على أرواح الشّهداء، وظّفت فيها الأفعال التّعبيرية إنجازيا يتجاوز حالة الشّاعر إلى التّعبير عن حالات الشّعب الجزائري كلّه، والقصدية من وراء ذلك قدرة الشّاعر على إشراك المخاطب في بناء التّجربة الشّعرية لكي يتمكّن من التّأثير فيه بواسطة هذه التّعبيريّات الّتي امتزجت في موقفها الكلامي الذّات الشّاعرة، والموضوع الشّعري، والمتلقي في آن معا.

ودليل ذلك، تلكم الضّوابط التّداوليّة الّتي اشترطها " أوستن " لضمان نجاح الفعل الكلامي في تأسيس نظريته؛ فأوجب: « أن يكون للمتكلّم مخاطب، أي أن يكون قد سمعه شخص ما، وأن يكون المخاطب قد فهم العمل، وأن يكون تعرّف على العمل المقصود»[28].

ففي البيت الأول، نلمس أفعالا تعبيرية محمّلة بطاقات التّهنئة والسّرور؛ حيث اكتملت وظيفتها التّداوليّة في تحقق فعليتها ومطابقتها للواقع، لأنّ بفضل هذه الثّورة المباركة أصبحت الجزائر منارة ومحجّة لخائضي الظّلماء.

وهذا الّذي يشفع لهذه الأفعال بالدّيمومة والاستمرار؛ حيث لا تُحجر هذه القوّة الإنجازيّة على زمن ومكان التّلفّظ فقط، بل تتعدّاه إلى أزمنة مستقبلية، فكلّما حلّت الذّكرى تجدّدت معها وحشية هذا الظّالم الجائر.

وفي البيت الأخير، ثمّة تعبيرات انفعالية أضفت طابع القوّة الإنجازيّة بأسلوب النفي (**لم أجد**)على نية الإطلاق والصّراحة للتّعبير عن انفعالية عواطف التّمجيد والاعتزاز الّتي انماز بها هؤلاء الرّجال الّذين هم أعلى أمثلة الرّجولة والفداء.

5.3.الإيقاعيّات (Declaratives):

تعرف بالإعلانيّات أو التّبيينات وهي أفعال تحدث تغييّرات آنية في وقائع عرفية (طقوس اجتماعية) بمجرّد النّطق بها، ويكون إيقاع الفعل فيها موحيا بالدّلالة المقصودة في الوجود، وبواسطتها المتكلّم يوقّع بالقول فعلا ومن أنماطها: البيع، والشّراء، والطّرد، الزّواج، والطّلاق، والحرب، والإجارة، والإنكار...، غرضها الإنجازي يتمثّل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي[29].

كما ورد في قوله[30] :

رَحِـمَ الله معشَـرَ الشّهـــداءِ وجزَاهـم عنّا كريـمَ الجـزاءِ
حيّ عيد الأضحى وحيّ الضَّحايا كلَّهـا والذَّبيـحَ في الأنبيــاءِ

ففي البيت الأول، قد خرج الخبر إلى تأدية غرض الدّعاء بالرّحمة وكريم الجزاء لمعشر الشّهداء انطلاقا من وقائع دينية أساسها ارتباط الرّحمة بالموتى؛ لأنّ من باب مبدآ التّأدب بمجرّد النّطق بها يستلزم حواريا ذكر هذا التّقليد في طقوسنا الدّينية؛ حيث تلوّنت بقوّة إنجازية متضمّنة لمحتواها القضوي دالّة على تعلّق الذّات الشّاعرة بالمخاطب.

وفي البيت الأخير، دلالة مستهدفة تضمنّتها صيغة اسم فعل الأمر عند النّطق بهذا الفعل الكلامي، تجلّت في تقديم التّحية مرتين لـ: " الشّهداء، وعيد الأضحى" باستراتيجية الإيجاز والتّوكيد في آن معا.

4. خاتمة:

هذه المقاربة الّتي حاولنا من خلالها تطبيق بعض مقولات نظرية الأفعال الكلاميّة الواردة في تصورات كلّ من" أوستين "، و" سيرل " على قصيدة "وقفة على قبور الشّهداء" لأمير شعراء الجزائر الشّيخ محمّد العيد آل خليفة. خلصنا إلى النّتائج الآتية:

تعدّد للأفعال الكلاميّة المشتملة على أصناف من قبيل: التّقريريّات، والتّوجيهيّات، والتّعبيريّات، والإلتزاميّات، والإيقاعيّات الدّالة على تنوّع مقاصد الشّاعر الخطابية والمؤسِّسة للتّجربة الشّعرية في آن معا؛ حيث اقترنت بمتضمّنات القول، تحمل في طيّاتها محتويات قضوية عديدة تفهم حسب السّياق التّداولي للمتلقي، والقصدية من ذلك تمكين رسائل هذا الخطاب الشّعري من الذّات المتلقية كي تحملها على التّأثير والاقتناع بفحواه.

إنّ الملامح التّداوليّة للأفعال الكلاميّة في بعدها الإنجازي واضحة المعالم في قصيدة "وقفة على قبور الشّهداء".

شغل صنف التّقريريات الحيّز الأوسع من هذه القصيدة، ومردّ ذلك إلى طبيعة المحتوى القضوي الّذي ينسجم خطابيا مع مضامين التّرحم على الشّهداء وتمجيد البطولات والاستشهاد في سبيل الحريّة، وتسجيل الثّورات التّحرّرية والمواقف الوطنية.

يعزى التّوظيف المباشر للأفعال التّقريرية داخل القصيدة إلى تأكيد الكلام وتقويته، ممّا جعل الخطاب الشّعري موفّقا في تحقيق قوّة إنجازيّة ناجحة لنقل الواقعة.

أظهرت لنا القصيدة الشّاعر صورة المناضل الثّائر من أجل تحرير وطنه وشعبه من ويلات هذا الظّالم الجائر الحريص على الجور؛ و هو بهذا ينزل منزلة المصلح المرشد الحريص على إرسال رسالة توجيهيّة إلى المخاطَب بنية المحافظة على إرث الشّهداء ومواصلة البناء والتّشييد.

حقّق هذا الخطاب الشّعري في مضمراته قوّة إنجازيّة، تنصاع إلى مؤشّرات خطابية موظّفا فيها صنف التّعهدات القصدية منها ترجمة تضحية الشّهداء إلى واقع فعلي؛ حيث جاءت صياغته مطابقة للعالم الخارجي (الشّعب الجزائري)، لأنّ الذّات الشّاعرة واثقة من الذّات المتلقية لمواصلة الدّرب بكلّ اطمئنان ونية وإخلاص.

القصيدة صورة صادقة عن ذكرى الشّهداء والطّريقة المثلى لتكريمهم، لأنّهم قدوة لكلّ ثائر لأن يكون مثلهم لنيل العزّة؛ خرجت هذه المعاني في أفعال تعبيريّة إنجازيّة، تجاوزت حالة الشّاعر إلى التّعبير عن حالات الشّعب الجزائري كلّه، والغرض من وراء ذلك قدرة الشّاعر على إشراك المخاطب في بناء التّجربة الشّعرية.

ما تنماز به الإيقاعيّات في هذه القصيدة الدّعاء الّتي فرضته قوّة إنجازيّة مصدرها التّرحم على الشّهداء، هذا الفعل ينجز آليا عند التّلفظ به بحكم السّياق التّداولي، والفائدة منه الدّعاء والتّضرع للخالق عَزَّ وجَلّ بأن يرحم هؤلاء الشّهداء ويجازيهم كريم الجزاء.

5. الهوامش:

[1] - ينظر: طالب سيّد الطّبطبائي: نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1994، ص:أ.

[2] - مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، ط1، أوت2005، ص: 20.

[3]- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة، الإسكندرية، 2002، ص: 42.

[4]- ينظر: عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة (مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي)، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1430هـ 2009 م، ص:69. وينظر: آن ربول، جاك موشلار، التّداولية اليوم

(علم جديد في التواصل)، ترجمة :سيف الدّين دغفوس، محمّد الشّيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظّمة العربية للتّرجمة، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، يوليو2003، ص:30.

[5]- Voir: Catherine Orecchioni: Les actes de langages dans le discours théorie et Fonctionnement, sous la direction de: Henri Mitterrand, Edition Nathan-VUEF, 2001, P : 5.

[6] - ينظر: يوسف مقران: المصطلح اللّساني المترجم (مدخل نظري إلى المصطلحات)، دار ومؤسّسة رسلان، دمشق، ط1، 2007، ص: 35.

[7] - ينظر: الزّواوي باغوره: الفلسفة واللّغة "نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة"، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص:104.

[8] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، (م.س)، ص، ص:43،44 . و

Voir: Mey, Jacob L.: Concise Encyclopedia of Pragmatics, Second Edition, Elsevier L.Td. The boulevard, Longford lane, kidlington, Oxford, UK, 2009, P:28.

[9] - ينظر: آن ربول، جاك موشلار، التّداولية اليوم (علم جديد في التّواصل)، (م.س)، ص: 32. و ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التّداولية، ترجمة : سعيد علوش: مركز الانماء القومي، مكتبة الأسد، الرّباط، المغرب، ط1، 1987، ص: 61.

[10] - ينظر: جون سيرل: العقل واللّغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الو اقعي)، ترجمة: سعيد الغانمي، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2006م-1427هـ، ص:224.

[11] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، (م.س)، ص: 48. و ينظر: طالب سيّد الطّبطبائي: نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (م.س)، ص: 26.

[12] - مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب، (م.س)، ص:40.

[13] - ينظر :دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ترجمة محمّد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص :07. وينظر: نعمان بوقرة: الكتابة اللّسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، مجلة العلوم الإنسانية، www.ulum.net، الرّياض، المملكة السّعودية، السّنة 6، العدد 41: ربيع 2009.

[14] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، ثوريات، (وقفة على قبور الشهداء)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، 2010، الصفحات: 397، 398، 399.

[15] - Voir: Martine Bracops: Introduction à la pragmatique(Les théories fondatrices : actes de langage, pragmatique cognitive, pragmatique intégrée), De Boeck supérieur, 2 édition, décembre 2010, p:97.

[16] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، (م.س)، ص، ص: 78،79.

[17] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، (م.س)، ص: 397.

[18] - محمّد خطابي: لسانيات النّص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص:179.

[19] ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، (م.س)، ص: 79.

[20] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، (م.س)، ص، ص: 397، 398.

[21] - المصدر نفسه، الصّفحات: 397، 398، 399.

[22] ينظر: جان سيرفوني: الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1998، ص: 63.

[23] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، (م.س)، ص، ص: 397، 398.

[24] - ينظر: علي محمود حجي الصرّاف: في البراجماتية: الأفعال الإنجازيّة في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سيّاقي)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص: 47.

[25] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، (م.س)، ص، ص: 397، 398.

[26] - ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، (م.س)، ص: 80.

[27] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، (م.س)، ص: 397.

[28] - جاك موشلار، آن ريبول: القاموس الموسوعيّ للتّداوليّة: ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التّونسية، إشراف: عز الدّين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للتّرجمة، تونس، 2010م، ص: 60.

[29]-Voir: Nathalie Garric et Frédéric Calas : Introduction à la pragmatique, Hachette, Paris , 2007, P:90.

[30] - محمّد العيد آل خليفة: الدّيوان، (م.س)، ص، ص: 397، 398.

*** *** ***